

الفصل السابع عشر

العرب واليونان

أقدم من سُجِّلَ اسمه من اليونان في سجل العلاقات العربية اليونانية هو (الاسكندر الكبير) (٣٥٦ - ٣٢٣ ق. م.) ، فبعد أن سيطر هذا الرجل الجبار الغريب الأطوار الذي توفي شاباً ، على أرضين واسعة، وأسس امبراطورية شاسعة الأرجاء ذات منافذ على البحر الأحمر والخليج العربي ، وبعد أن استولى على مصر والملال الخصب ، فكر في السيطرة على جزيرة العرب ، وفي جعلها جزءاً من امبراطوريته، ليتم له بذلك الوصول إلى سواحل المحيط الهندي، والسيطرة على تجارة إفريقية وآسية ، وتحويل ذلك المحيط إلى بحر يوناني .

وقد شرح الكاتب (أريان) Flavius Arrianus المولود سنة (٩٥ ب. م.) والمتوفى سنة (١٧٥ ب. م.)^١ ، الأسباب التي حلت الاسكندر على التفكير في الاستيلاء على جزيرة العرب وعلى بحارها ، في الكتاب السابع من مؤلفه Anabasis Alexandri^٢ . فذكر أن هنالك من يزعم أن الاسكندر إنما جهز تلك الحملة البحرية ، لأن معظم القبائل العربية لم ترسل إليه رسالةً ، للترحيب به ولتكريمه ، فغاضه ذلك . أما (أريان) ، فإنه يرى أن السبب الحقيقي الذي

Harvey, The Oxford Companion to Classical Literature, P., 51
Arrien, History of Alexander and Indica, in 2 vol., Loeb Classical Library, ٢
1946, Anabasis, Book, VII, 19, 5. XX, II. 1.

حمل الاسكندر على إرسال هذه الحملة ، يكمن في رغبته في اكتساب أرضين جديدة^٣ .

وأورد (أريان) في كتابه قصة أخرى ، خلاصتها : ان العرب كانوا يتعبدون لآلهين هما : (أورانوس) Uranus ، و (ديونيسوس) Dionysus ، وجميع الكواكب وخاصة الشمس . فلما سمع الاسكندر بذلك ، أراد أن يجعل نفسه الإله الثالث للعرب^٢ . وذكر أيضاً انه سمع يبحر ببلاد العرب وطبيها ، وحاصلاتها الثمينة ، وبسعة سواحلها التي لا تقبل مساحتها كثيراً عن سواحل الهند ، وبالجزر الكثيرة المحلقة بها ، وبالمرافئ الكثيرة فيها التي يستطيع أسطوله أن يرسو فيها ، وبيناء مدن يمكن أن تكون من المدن الغنية ، وسمع بأشياء أخرى ، فهاجت فيه هذه الأخبار الشوق إلى الاستيلاء عليها ، فسير إليها حملة بحرية للطواف بسواحلها إلى ملتقاها بخليج العقبة^٢ . وعندي ان التعليل الأخير هو التعليل الحقول الذي يستطيع أن يوضح لنا سر اهتمام (الاسكندر) بجزيرة العرب ، وتفكيره في إرسال بعثات استكشافية للبحث عن أفضل السبل المؤدية إلى الاستيلاء عليها . ولم يكن (الاسكندر الأكبر) أول من فكر في ذلك ، فقد سبقه إلى هاهنا الفكرة خكام كان منطقتهم في الاستيلاء على بلاد العرب وعلى غير بلاد العرب من أرضين ، هو سماعهم بغنى من يريدون الاستيلاء عليه ، فهو إما أن يتصادق معهم ، فيقدم ما عنده من ذهب وفضة وأحجار كريمة وأشياء ثمينة اليهم ويرضى بأن يكون تابعا لهم ، وإما أن يمتنع فيكون عدواً ويتعرض للغزو والسلب والنهب والقتل والإبادة . بهذا المنطق كتب ملوك آشور إلى ملك (دلمون) وغير دلمون ، وبهذا المنطق كتب (أوغسطس قيصر) إلى ملوك اليمن فيما بعد .

أرسل الاسكندر بعثات استطلاعية تتسقط له المعلومات اللازمة لارسال أسطول كبير يستولي على سواحل الجزيرة ، يتجه من الخليج فيعقب سواحلها ، ثم يدخل البحر الأحمر إلى خليج العقبة ، حيث ينفذ أسطوله إلى سواحل مصر . وقد هيا الأسطول ، وجاء بأجزاء السفن وبالأخشاب اللازمة لبنائها من (فينيقية)

Anabasis, VII, 19, f.

١

Anabasis, VII, XX, I, II

٢

Anabasis, VII, II, ff.

٣

Phoenicia (وقبرس) Cyprus ، واتخذ (بابل) قاعدة للإشراف على تنفيذ هذه الخطة . ومن أرسلهم الإسكندر لاكتشاف الطريق، القائد البحري (أرشياس) (أرخياس) Archias ، وقد كلف السير في اتجاه السواحل ، فبلغ جزيرة ستماها (أريان) (تيلوس) Tylus ، وهي (البحرين) ، ولم يتجاوزها ، والقائد (أندروستينيس) Androsthene ، وقد بلغ مكاناً قصياً لم يصل اليه القائد (أرشياس) ، (وهرون) Hieron ، وقد وصل مكاناً بعيداً لم يصل اليه القائد المذكوران ، وكان قد كلف أن يطوف حول جزيرة العرب حتى (هيروبوليس) Heroopolis أي السويس . وقد عاد فأخبر الإسكندر بما حصل عليه من معلومات وبما يتطلبه المشروع من جهود^١ . ولم يذكر (أريان) المكان الذي بلغه (هرون) ، ويظن (أرنولد ولسن) A. Wilson أنه لم يتجاوز موضع (ماكيتة) Maketa وهو موضع (رأس الخيمة) ، أي (رأس مسندم) Ras Musandam كما يسميه الأوروبيون ، وهو (مونس اسبو) Mons Asabo عند (بلينيوس) ، أي (رؤوس الجبال)^٢ .

ويصف (أريان) جزيرة (تيلوس) Tylus ، بأنها جزيرة تبعد عن مصب نهر الفرات ، بمسيرة سفينة تجري مع الريح يوماً وليلة . وهي جزيرة واسعة وعرة ، لا يوجد بها شجر وافر ، غير أنها خصبة ويمكن غرسها بالأشجار المثمرة كما يمكن زرعها بنباتات أخرى . وذكر (أريان) ، أن مخبري (الإسكندر) كانوا قد أخبروه بوجود جزيرة أخرى غير بعيدة عن مصب نهر الفرات ، إذ لا تبعد عنه أكثر من (١٢٠) (استاديوناً) ، وهي صغيرة نوعاً ما ، غير أنها ذات شجر من كل نوع وبها معبد للإلهة (أرتميس) Artimus = Artemis يعيش الناس حول معبده وتمرح الحيوانات وتسرح دون أن يمسها أحد بسوء ، لأنها في حمي المعبد، فهي حرام على الناس وقد سمي هذه الجزيرة باسم (ايكاروس) Ikaros^٣ ، نسبة الى جزيرة (ايكاروس) من جزر البحر الايجي Aegaein Sea^٤ . ويظهر أن الإسكندر عرف الصعاب التي ستواجهه في اقداامه على اقتحام الجزيرة

Anabasis, VII, XX, 8. ١

The Persian Gulf, P., 40, 43. ٢

The Persian Gulf, P., 40, 43, Anabasis, VII, XX; 8; Die Araber; IV; S.; 66. ff. ٣

Die Araber, IV, S., 66. ff. ٤

من البر : من مقاومة القبائل ، وصعوبة قطع الفيافي ، وقلة المياه ، فعزم على تحقيق المشروع من البحر ، وكلف (هيرون) Hieron متابعة السواحل ، ودراسة أحوال سكانها ومواضع المرافئ وأماكن المياه والمناصب ومواضع الشجر فيها ، وعادات العرب وأحوالهم ، لتكون جيوشه على بينة من أمرها ، إذا أقدم أسطوله على تحقيق هذا المشروع الخطير^١ .

وأعدّ (الإسكندر) كل ما يلزم أعداده ، غير أن موته المفاجيء ، وهو في مقتبل عمره ، ثم تنازع قواده وانقسامهم ، وما إلى ذلك من شؤون ، صرف قواده عن التفكير فيه ، فأهمل ومات بموته مشروعه الخطير .

ويرى بعض الباحثين أن الإسكندر لم يكن يقصد فتح جزيرة العرب ، ولكن كان يرغب في الاستيلاء على بعض الموانئ والمواضع المهمة على ساحل الجزيرة وبذلك يكون قد أدرك الغايات التي قصدها من هذا الفتح^٢ .

ولما أراد الإسكندر احتلال (غزة) في طريقه إلى مصر ، قاومت المدينة ، ودافع عنها رجل سمّاه (أريان) (باتس) Betis = Baetis = Batis^٣ ، مستعيناً بجيوش عربية قاومت مقاومة شديدة اضطرت الإسكندر إلى نصب آلات القتال ، إلا أن العرب هاجموا لاحتراقها ، كما هاجموا المقدونيين الذين كانوا متحصنين في مراكز القيادة وراء تلك العُدّة^٤ . وقد اضطّر المقدونيون إلى مغادرة مواضعهم هذه إلى أماكن جديدة ، وكادوا ينهزمون هزيمة منكرة لو لم يأتهم الإسكندر بمساعدات قوية في الوقت المناسب . وقد أصيب بجراح^٥ . وظلت تقاومه مدة خمسة شهور (٣٣٢ ق.م) . ويذكر (هيرودوتس) أن المنطقة الواقعة من (غزة) إلى موضع Jenysus ، كانت مأهولة بالقبائل العربية المتصلة بطور سيناء منذ القديم . وقد حكمها ملك عربي لم يذكر اسمه^٦ .

١ Anabasis, VII, XX, 10.

٢ Tarn, II, P. 394, U. Wilcken, Die Letzen Plaene Alexanders des Grossen; Berlin, 1937, S., 195.

٣ W. W. Tarn, Alexander the Great, Cambridge, 1948, Vol., 2, P.; 265; «Betis»; «Baetis»; Curtius Rufus, 4, 6, 7, 20, : 30, Die Araber; I; S.; 171.

٤ Arrian, Vol., I, P. 217, II. 23, 4.

٥ Arrian, I, P., 219.

٦ Herodotus, I, P., 212.

ويرى بعض الباحثين أن (باتيس) Batis هذا الذي وقف بوجه جيوش الاسكندر وقاومها هذه المقاومة العنيفة ، في حوالي سنة (٣٣٢ ق. م.)^١ ، كان رجلاً عربياً اسمه (باطش) ، أي الفاتك . ويستدلون على ذلك بورود اسم رجل في الكتابات النبطية ، هو (بطشو) ، أي (باطش)^٢ . وقد حُرف ذلك الاسم فصار Batis^٣ . وهم يرون أن غالبية سكان (غزة) كانت من العرب منذ زمن طويل قبل الميلاد. وأنها كانت نهاية طرق القوافل البرية التجارية التي كان يسلكها التجار العرب القادمون من اليمن والحجاز ومن مواضع أخرى. ولا يعقل لذلك أن يكون حاكمها إيرانياً ، كما ذهب إلى ذلك بعض المؤرخين. فرجحوا لذلك رأي من يقول أن (الباطش) Batis ، كان من العرب^٤ .

لقد كانت (غزة) المركز الرئيسي للتجار العرب على البحر المتوسط ، فاليه تنتهي التجارة العربية ، ومنه يتسوق التجار العزب البضائع التي ترد اليه من موانئ هذا البحر . ولما فتحت المدينة أبوابها لجيش الإسكندر بعد ذلك الحصار الشاق، وجد اليونان فيها مقادير كبيرة من المر واللبن وحاصلات العربية الجنوبية، فاستولوا عليها . فخسر التجار العرب بذلك خسارة فادحة^٥ .

ونجد في كتاب (تاريخ الإسكندر) لـ (كويتس كورتيوس) Quintus Curtius ، خبراً يفيد أن (الإسكندر) أخذ من أرض العرب المنتجة للبخور كمية من البخور لاحتراقها للآلهة تقرباً إليها . غير أننا لا نستطيع تصديق هذه الرواية ، لأن جيوش الإسكندر لم تتمكن من دخول جزيرة العرب ، ولم تصل إلى أرض البخور^٦ . إلا أن يكون حكامها قد أرسلوا البخور المذكور هدية إليه ، أو ضريبة من التجار العرب في مقابل السماح لهم ببيعه في الأسواق التي استولى عليها اليونان .

١ H. Berve, Das Alexanderreich auf Prosopographischer Grundlage, 2 (1928), S., 105, Die Araber, I, S., 34, 173.

٢ Die Araber, I, S., 35.

٣ Curtius Rufus, 4, 6, 7, Die Araber, I, S.; 35.

٤ J. Cantineau, Le Nabatéen, 2, (1932), 70, R. Maécus, in : Josophos; Vol.; 6; 1937, P. 463 (Loeb), Tran. Alexander. 2; P. 266; Die Araber; I; S. 172.

٥ Diodorus, XVII, 48, 7, Strabo, XVI, 2; 30; Plutarch; Alexander; 25; 4; 26-27; Olmstead, History of the Persian Empire, P., 507, f.

٦ Quintus Curtius, I, P., 7,

وقد توسع مؤلف الكتاب المذكور في إطلاق لفظة العرب Arabum والعربية أي أرض العرب Arabia في أثناء حديثه عن العرب وعن أرضهم فأدخل في العرب جماعة ليسوا منهم مثل (بني إرم) . ولما تحدث عن فتح الإسكندر للبنان ، ذكر انه ذهب بعد ذلك إلى العربية ، أي أرض العرب وعنى بها البادية الواسعة التي تفصل بلاد الشام عن (ما بين النهرين) ، وكل الأرضين على ضفة الفرات الغربية ^١ .

هذا ولا أظن ان انساناً يقول ان (الإسكندر) المذكور كان قد حصل على علمه بآراء العرب وبنفاسة ما يبيعونه في أسواق البحر المتوسط من تجارات عن طريق الوحي والإلهام ، وبنهاية فكره ، إن علماً من هذا النوع لا يمكن أن يحصل عليه إنسان إلا من علم الماضين ومن علم السياح والتجار بصورة خاصة لأنهم كانوا ولا زالوا منذ خلق الانسان يفتشون عن الأسواق وعن المنتجات ويتعارفون فيما بينهم على اختلاف ألوانهم وأديانهم للحصول على معارف تجارية تحوّلهم الحصول على ما يبتغون بأرخص الأسعار .

من هذه الموارد ولا شك حصل (الإسكندر) على عمله بأحوال الهند وبأحوال جزيرة العرب وبالأسواق التي كانوا يرتادونها . وعلمه هذا هو الذي حمله على أن يوجه حملته على بلاد العرب - على ما أرى - من البحر لا من البر ، لأنه أدرك أن حملة بحرية تمكنه من السيطرة على مفاتيح الجزيرة وعلى النقاط الحساسة فيها بسهولة ويسر وبدون تكاليف باهظة ، وبذلك يقبض على خناقها ويقطع عنها إن تيسر له النجاح اتصالها بأسواق إفريقية والهند وما وراء الهند ، وهي الأسواق الرئيسية التي موّنت العرب بالثراء وبذلك يقطع عنهم موارد الثراء . أما من البر فقد كان على علم أكيد من خلال تجارب الماضين ومن علمه وعلم قواد جيشه بصعوبة الاستيلاء عليها من البر ومن الاحتفاظ بها أملاً طويلاً والمحافظة على طرق المواصلات الطويلة ولإيصال المؤن إلى قواته ، لذلك لم يفكر في الاستيلاء عليها من البر . ثم إن ثراء سكان الجزيرة المشهور لم يكن من ثراء حاصلاتها وإنتاجها وإنما كان من أسواق إفريقية والهند في الغالب ، ولهذا رجّح خطة السيطرة على موانئ جزيرة العرب بوضع قوات بها على خطة السيطرة

على الجزيرة من البر ، وأغلب الجزيرة بحار من رمال . وبذلك وضع خطة سار عليها من جاء بعده من الغربيين حتى العصر الحديث باستثناء (أغسطس قيصر) الذي لاقت حملته البرية الفشل والهزيمة لأنها بنيت على جهل فاضح بحال جزيرة العرب ، وبحقيقة صعوبة السيطرة عليها من البر .

وقد ورد في بعض الموارد أن العرب قدموا الأسلحة والملايس إلى الجيش المقدوني^١ ، وأن الإسكندر تمكن من قهر العرب^٢ . كما ذكر أن عربياً انقض على الإسكندر وفي يده اليمنى سيف مسدد نحو رقبته ، قاصداً قتله في أثناء معركة حامية ، غير أن الإسكندر تجنب الضربة بسرعة فائقة فنجا . وكان هذا العربي في جيش (دارا) (داريوس) Darius^٣ .

وذكر (كونيتوس كورتيوس) أن (الإسكندر) بعد أن سار مع مجرى نهر Pallacopas وصل إلى مكان أعجبه ، فأمر بإنشاء مدينة فيه ، أسكنها العجزة والمسنين من رجاله ، وذلك في أرض العرب^٤ . وسوف يأتي الكلام على ذلك في أثناء الحديث عن (بلينيوس) وما عرفه من بلاد العرب .

وكان مما تحدث به المؤرخ المذكور عن حملة الإسكندر أن أحد قواده كان قد تنكر في زي الأعراب وأخذ معه اثنين من العرب ليكونا دليلين في سيره ، ووضعاً زوجتيهما وأطفالهما لدى الملك الإسكندر ليكونوا رهائن عنده ، لئلا يصيب القائد أي سوء ومكروه . فلما وصل إلى الموضع الذي قصدته ، وأبلغ رسالة الملك من أرسله إليه عاد ومعه الأعرابيان ، فأثابهما^٥ .

ليست فتوحات الإسكندر التي قذفت بالآغريق والرومان إلى مساحات واسعة من آسية ، حدثاً سياسياً حسب، إنما هي فصل من فصول كتاب التاريخ البشري، نقرأ فيه أخبار التقاء العالمين الشرقي والغربي وجهاً لوجه على مساحات واسعة من وجه هذه المسكونة . ونزعة الغرب في السيطرة على الشرق وتأثير الحضارات والثقافات بعضها ببعض . وحصول علماء اليونان والرومان على معارف مباشرة عن

Julius Valerius, II, 25, Arabien, S. 23.

Livius, XLV, 9, Plinius, XII, 62, Arabien; S.; 23.

Quintus Curtius, I, P., 219.

Quintus Curtius, II, P., 513.

Quintus Curtius, II, P. 137.

أحوال أم كانوا يسمعون أخبارها من أفواه التجار والسياح والملاحين فاذا وصلت اليهم كان عنصر الخيال فيها الذي يميل الى التخميم والتجسيم قد انتهى من عمله وأدى واجبه . فصححت فتوحات الاسكندر هذه للهلال الحبيب ولمصر ، بعض تلك الأوهام ، وجاءت بعلماء من اليونان الى هذه البلاد ، ولا سيما مصر فأفادوا واستفادوا ، وصارت (الاسكندرية) بصورة خاصة ، وبعض مدن بلاد الشام ، ملتقى الثقافات ، الثقافات الشرقية والثقافات الغربية ، ومركز الاتصال العقلي بين الغرب والشرق وبقيت الاسكندرية محافظة على مكانتها هذه حتى ظهور الإسلام .

وقد حملت فتوحات الإسكندر والحروب ، التي وقعت بين الروم والفرس الى الشرق الأدنى ، دماً جديداً هو دم الإغريق ومن دخل في خدمة الإسكندر واليونان والرومان من الجنود والمتطوعة والمرزقة من سواحل البحر المتوسط الشمالية وما صاقبها من أصقاع أوروبية . لقد بنى الإسكندر الأكبر مدينة Charax على ملتقى نهر (كارون) بدجلة^١ ، وأسكنها أتباعه وجنوده ومواطني المدينة الملكية ، كما بنى مدناً أخرى ، وقد كان من المحبين المولعين ببناء المدن ، وبنى خلفاؤه مدناً جديدة في الشرق ، وكذلك من أخذ تراثهم من اليونان والرومان^٢ . وحمل الفرس عدداً من أسرى الروم ، وأسكنوهم في ساحل الخليج وفي مواضع أخرى . وطبيعي أن ترك سكنى هؤلاء في الشرق أثراً ثقافياً في الأماكن التي أقاموا فيها وفي نفوس من جاورهم أدرك قيمته المؤرخون المعاصرون .

والمؤرخ (بلينيوس) ، هو أول من أشار إلى مدينة Charax ، هذه المدينة التي أنشأها الإسكندر ، في جملة المدن التي أنشأها في الشرق ، ويظن أنها (المحمرة)^٣ . بنيت هذه المدينة - كما يقول (بلينيوس) - في النهاية القصوى من الخليج العربي أي الخليج الذي يسمى اليوم باسم (خليج البصرة) أو (خليج فارس) كما يسميه (الكلاسيكيون) Sinus Persicus ، عند خط ابتداء العربية السعيدة Arabia Eudaemon أي جزيرة العرب ، ويقع نهر دجلة على يمينها . وقد دعيت (الاسكندرية) نسبة إلى الإسكندر . وقد خربت هذه المدينة مراراً من فيضان الأنهر وإغراقها لها ، ثم بناها (انطيوخس الرابع)

١ Charax Spasini.

٢ Pliny, Book, VI, 138, Vol., II, P.; 443; (H. Rackham);

٣ The Persian Gulf, P., 30, 49.

Antiochus Epiphanes IV (١٧٥ - ١٦٣ ق. م.) ودعيت باسمه، ثم تخربت أيضاً ، فرمها وأعاد بناءها الملك (سباسينس) Hyspaosines/Spasines ملك العرب المجاورين ، وأنشأ لها سداً لحمايتها، وسماها باسمه . وقصدها التجار اليونان والعرب^١ .

وقد ذكر ان والد الملك (سباسينس) Spassiones/Hyspaosines كان ملكاً يحكم العرب المجاورين لهذه المدينة . وقد عرف بـ Sagdodonacus . وهو اسم لم يتفق الباحثون على أصله^٢ . ولما وجد (سباسينس) ان الخراب قد حل بالمدينة المذكورة ، بنى لها سداً ، أنقذها من الغرق ، وأعاد بناءها فعرفت باسمه . ويظهر ان حكم هذا الملك كان في النصف الأول من القرن الثاني قبل الميلاد . ويرى بعضهم انه حكم بابل و (سلوقية) Seleukeia في حوالي سنة (١٢٧ ق. م.)^٣، وانه كان يحكم مقاطعة Charax في حوالي سنة (١٣٠ ق. م.)^٤ أو (١٢٩) . وقد عثر على نقود ضربت باسمه^٥ . ويظهر ان حكم هذه المملكة الصغيرة بقي إلى أيام الملك (أردشير) الساساني ، حيث قضى عليها في حوالي سنة ٢٢٤ أو ٢٢٧ م^٦ .

وقد عرفت Charax بـ Charakene ، وهي (ميسان) Mesene^٧ . و Charax ، هي (كرخا) ، وعرفت أيضاً بـ (كرخ ميسان)^٨ . وقد تحدث (سترابون) بشيء من الإيجاز عن الساحل العربي المشرف على الخليج ، مستمداً له من (ايراتوستينس) على الأكثر ، إذ استند إلى وصفه وأخباره . أما (ايراتوستينس) ، فقد جمع مادته من أقوال رجال عرفوا الخليج وعركوه ، وكانت لهم أيام فيه . منهم (نيرخس) Nearchus قائد الإسكندر

١ Gulf, P., 49.

٢ Die Araber, I, S., 279, 317.

٣ Araber, I, S., 321, A.R. Bellinger, Hyspaosines of Charax, in Yale Class. Stud., 8, (1942), 55.

٤ Araber, I, S., 327.

٥ Ency., III, P., 146.

٦ Nöldecke, Gesch. der Araber und Perser, Leden, 1879, S. 13.

٧ Ency., III, P., 146.

٨ Ency., III, P., 146.

الشهير وأمير أسطوله ، و (أندروستينس) Androstheneis من أهل (ثاسوس) Thasos ، كان في صحبة القائد (نيرخس) ، ثم كلف قيادة الأسطول الذي أمر بالسير بمحاذاة ساحل الجزيرة للكشف عنه ، وللحصول على معارف جديدة عن بلاد العرب . ومنهم (أرسطوبولس) Aristobulus وكان أيضاً من رجال البحر ، و (أورثاغوراس) Orthagoras الذي كان من هذا الصنف كذلك . وأخذ (سترابون) من مورد آخر يرفع سنده إلى (نيرخس) ، إلا أن (سترابون) لم يذكر رجال السند ، وإنما ذكر جملة « قال نيرخس »^٢ . فيجوز أن يكون هذا المورد من وضع القائد نفسه ، أو من وضع مرافقيه ، حكوا عنه ، أو من وضع أناس جاءوا بعدهم ، استندوا إلى روايات وأقوال مرجعها (نيرخس) . أخذ منه (سترابون) .

وقد اقتصر (سترابون) على ذكر (جرها) Gerrha و (تير) Tyre ، و (أرادوس) Aradus و (ماكه) Macae ، وهي مواضع تقع على ساحل العروض ، أي الساحل الشرقي لجزيرة العرب المطل على الخليج ، ولم يذكر أماكن أخرى غيرها تقع في هذه المنطقة^٣ ، وفي ذلك دلالة على قلة علمه بأحوال ذلك الخليج .

أما (جرها) ، فمدينة تقع ، على حد قوله ، على خليج عميق أسسها مهاجرون (كلدانيون) من أهل بابل^٤ ، في أرض سبخة ، بنوا بيوتهم بحجارة من حجارة الملح ، ترش جدرانها بالماء عند ارتفاع درجات الحرارة لمنع قشورها من السقوط . وتقع على مسافة (٢٠٠) (استاديون) Stadia من البحر . وهم يتاجرون بالطيب والمر والبخور ، تحملها قوافلهم التي تسلك الطرق البرية . ويذكر (أرسطوبولس) Aristobulus أنهم ينقلون تجارتهم بالبحر إلى بابل ،

١ Strabo, III, P., 186, Book, XVI, III; 3-6.

٢ Strabo, III, P., 188, Book, XVI, 5; 7.

٣ Strabo, III, P., 186.

٤ « الكلدانيون » ، المسعودي ، التنبيه (ص ١ ، ٢ ، ٧ ، ٣١ ، ٥٠ ، ٥٦ : ومواضع أخرى .

٥ « استاديون » ، Stadion ، استخدم علماء تقويم البلدان كلمة

« استاديون » في مقابل : Stadion و « الاستاديون : مساحة أربع

مئة ذراع » ، البلدان (١ / ١٨) .

ثم إلى مدينة Thapascus ، ومنها يعاد نقلها بالطرق البرية إلى مختلف الأنحاء^١ و (نباسكوس) Thapascus ، هي : الدير ، أو (الميادين) في رأي كثير من الباحثين^٢ .

وقد أشار إلى (جرها) كتاب آخرون ، عاشوا بعد (إيراتوستينس) صاحب خبر هذه المدينة المدونة في جغرافية (سترابون) . أشار إليها مثلاً (بوليبوس) Polybius (٢٠٤ - ١٢٢ ق.م.)^٣ ، و (أغاثانجيلس) المتوفى سنة (١٤٥) أو (١٢٠ ق.م.)^٤ ، و (أرتيميدورس) Artemidorus من أهل مدينة (أفسوس) Ephesus (حوالي ١٠٠ ق.م.)^٥ ، و (بلينيوس) . وخلاصة ما أورده عنها أن المدينة كانت مركزاً من المراكز التجارية الخطيرة ، وسوقاً من الأسواق المهمة في بلاد العرب ، وملتقى طرق تلتقي في القوافل الواردة من العربية الجنوبية والواردة من الحجاز والشام والعراق ، كما أنها كانت سوقاً من أسواق التجارة البحرية تستقبل تجارة إفريقية والهند والعربية الجنوبية ، وتعيد تصديرها إلى مختلف الأسواق بطريق القوافل البرية حيث ترسل من طريق (حائل) - (تيما) إلى موانئ البحر المتوسط ومصر ، أو من الطريق البري إلى العراق ومنه إلى الشام^٦ . وقد ترسل في السفن إلى (سلوقية) Seleucia ، أو بابل ف Thapascus ومنها بالبر إلى موانئ البحر المتوسط . وما بي حاجة إلى أن أقول إنها كانت تستقبل تجارات البحر المتوسط والعراق والأسواق التي تعاملت معها ، لتتوسط في إصدارها إلى العربية الجنوبية وإفريقية والهند ، وربما إلى ما وراء الهند من عالم ينتج ويستهلك . فهي سوق وساطة ، والوسيط يصدر ويستورد ويعمله هذا يكتنر الثروة والمال .

وذكر القدماء أن الجرهابيين تاجروا مع حضرموت ، فوصلت قوافلهم إليها في أربعين يوماً^٧ . وكانت تعود وهي محملة بحاصلات العربية الجنوبية، وحاصلات

١ Strabo, III, P. 186, Book, XVI, III; 3-4; Dillman; Haute Mesop.; 131.

٢ Gulf, P., 30, Deserta, P., 515, Strabo; III; P.; 187.

٣ Gulf, P., 46.

٤ Skizze, II, S., 10.

٥ Gulf, P., 46.

٦ Cornwall, Ancient Arabia, in Geographical Journal, CVII, 142, Febr., 1946;

P., 30, Dussaud, La Pénétration des Arabes en Syrie, 13, 25.

٧ Gulf, P., 45, Strabo, III, P., 191; Book; XVI; IV; 4.

إفريقية المرسلة بواسطتها وهي بضاعة نافقة ذات أثمان عالية في الأسواق التجارية لذلك العهد . وتاجروا مع النبط بإرسال قوافلهم التي قطعت الفيافي مارة بمواضع الماء والآبار الى (دومة الجندل) Dumatha ، ومنها إلى (بطرا) عاصمة النبط . والنبط هم مثل بقية العرب تجار ماهرون نشيطون . فإذا وصل تجار (جرها) إلى أرض النبط باعوا ما عندهم للنبط واشتروا منهم ما يحتاجون إليه من حاصل بلاد الشام والبحر المتوسط . أما التجار الذين يريدون أسواقاً أخرى غير أسواق النبط ، فكانوا يتجهون نحو الشمال ، فيدخلون فلسطين قاصدين (غزة) ، أو يتجهون وجهة أخرى هي وجهة بصرى وبقية بلاد الشام . وقد اكتسبت (جرها) شهرة بعيدة في عالم التجارة في ذلك الزمان ، بسبب مركزها التجاري الممتاز ، وذاع خبر ثراء أهلها وغناهم ، حتى زعم أنهم كانوا يكترون الذهب والفضة والأحجار الكريمة ، وأنهم اتخذوا من الذهب آنية وكؤوساً وأثاثاً، وجعلوا سقف بيوتهم وأبواب غرفهم به وبالأحجار النفيسة الغالية ، وغير ذلك مما يسيل له لعاب الجائعين إلى المال^١ . وهذا الصيد البعيد ، هو الذي أثار الطمع في نفس الملك (انطيوخس الثالث) Antiochus III^٢ ، فجعله يقود أسطوله في عام (٢٠٥ ق.م.) ، للاستيلاء على المدينة الغنية الكانزة للذهب والفضة واللؤلؤ وكل حجر كريم ، وإذلال القبائل المجاورة لها ، وإلحاقها بحكومته . فلما أن تدعن وتستسلم بغير قتال ، وتقدم ما عندها هدية طيبة إليه ، ولما القتل والنهب ودك المدينة دكاً .

وتقول الرواية التي نتحدث عن طمع هذا الملك وجشعه للمال إن المدينة المسالمة التاجرة ، أرسلت رسولاً إلى الملك يحمل رجاءها إليه ألا يحرمها نعمتين عظيمتين أنعمتها الآلهة عليهم : نعمة السلام ، ونعمة الحرية . وهما من أعظم نعم الآلهة على الإنسان . فرفض من حملته هذه بالرجوع بحزبة كبيرة من فضة وأحجار كريمة ، فأبحر إلى جزيرة (تيلوس) ، ومنها إلى (سلوقية) (٢٠٥-٢٠٤ ق.م.)^٣ . وهكذا اشترت المدينة سلمها وحريتها من هذا الطامع بالمال، وصدق أهل المدينة إن كانت الرواية صادقة ، فالسلم والحرية من أعظم نعم الله على الإنسان^٤ .

١ Polybios, II, 39, II.1.

٢ Gulf, P., 46. « أنطيوخس » ، الطبري (١ / ٧٩٠) « طبعة ليدن » .

٣ Gulf, P., 46, Polybios, Book, 13, 9; Die Araber; II; 8.; 74.

٤ Polybios, 13, 9, 4-5.

وفي رواية ان الملك المذكور لما عاد من حملته على الهند اتجه نحو الغرب ، أي السواحل الشرقية لجزيرة العرب ؛ ساحل العروض . فنزل في أرض دعنها (خطينة) Chattenia . وهي أرض من (جرها) . وعندئذ أرسل الجرهابيون رسلاً اليه يفوضونه على الصلح على نحو ما ذكرت ، فوافق على أن يدفعوا اليه في كل سنة جزية من فضة ولبان وزيت مصنوع من البخور^١ .
ويظهر من هذه الرواية ان مجيء الملك إلى أرض الجرهابيين، كان من الهند ، وكان قد رجع بعد أن قاد جيشه اليها، وانه نزل في ساحل عرف باسم Chattenia وهو الخط .

يتبين من وصف (سترابون) للحجارة التي بنيت بها المدينة على زعمه ومن ادعاء (بلينيوس) ، ان أبراج المدينة وسورها قد بنيت بقطع مربعة من صخور الملح^٢ . يتبين من ذلك انها بنيت في أرض سبخة ، وان هذا السبخ هو الذي أوحى إلى مخيلة (الكلاسيكيين) ابتداء قصة حجر الملح الذي بنيت به دور المدينة وسورها . وفي التأريخ قصص من هذا القبيل عن قصور ومدن شيدت بحجارة من معدن الملح .

يظن ان Gerra أو Garraei أو Gerrei على حسب اختلاف القراءات ، وهو موضع ذكره (بطلميوس) ، هو هذه المدينة (جرها)^٣ . وذكر (بلينيوس) انها تقع على خليج يسمى باسمها Sinus Gerraicus^٤ ، ويبلغ محيطها خمسة أميال^٥ (خمسة آلاف خطوة)^٦ . وعلى مسافة خمسين ميلاً من الساحل ، (أي خمسين الف خطوة) ، تقع منطقة تدعى (أتنه) Attene ، وفي مقابل مدينة (جرها) من جهة البحر وعلى مسافة خمسين ميلاً تقع جزيرة (تيلوس) Tylos المشهورة بالؤلؤ . والمدينة التي ذكرها (بلينيوس) هي المدينة التي قصدها (سترابون) .

١ Pliny, 6, 148, J. Pirenne, Le Royaume Sud-Arabe de Qataban et sa Datation, (1961), 169; Araber, I, S., III.

٢ Pliny, II, 448.f.

٣ Forster, II, P., 209, 217.

٤ Pliny, II, P., 449, Book, VI, 147.

٥ بالأميال في الترجمة الانكليزية لكتاب « بلينيوس » ، راجع :

Pliny, II, P., 449, Book., VI, 147; Gulf; P.; 51.

٦ بالخطوات في الترجمة الالمانية ، راجع Skizze, II, S., 74.

وبعد ، فد (جرها) إذن ، مدينة تقع في العربية الشرقية على ساحل الخليج على مسافة منه ، أو عليه مباشرة . وقد رأى (شبرنكر) أنها (العقير)^١ ، وتدعى (المعجير) في لهجة الناس هناك^٢ . ويرى هذا الرأي (فلي)^٣ وطائفة من الباحثين . ومنهم من رأى أنها (القطيف)^٤ ، أو الخرائب المعروفة باسم (أبو زهمول) مع (العقير) ، وتكون هذه الخرائب الطرف النائي من (جرها) الذي يكون الميناء^٥ ، ودعاها بعضهم (الجرعاء)^٦ . وظن آخرون أنها (سلوى) الواقعة على ساحل البحر^٧ .

ومن رجّح (الجرعاء) رأى أنها في لفظها قريبة جداً من (جرها) (جرها) ، وموضعها قريب منها . ولسبب آخر ، هو ورود اسم Thaimon/Thaemae مع Gerraiei عند (بطليموس) ، و Thaemae هو (تميم) في نظر الباحثين . وقد اقترن اسم (الجرعاء) بتميم . فقد ذكر (الممداني) (الجرعاء) ، فقال : « ثم ترجع إلى البحرين فالأحساء منازل ودور لبني تميم ثم لسعد من بني تميم ، وكان سوقها على كثيب يسمى الجرعاء تتبايع عليه العرب »^٨ . وقد كانت (جرها) سوقاً تتبايع فيه الناس . ويرى (كلاسر) ان Gerra/Gerrha ليست (العقير) أو الجرعاء ، وإنما هي موضع يقع في الطرف الجنوبي الغربي من خليج (القطن)^٩ .

ويظهر أن (جرها) كانت قد بلغت أوجها في هذا العهد ، وقد بقيت على ذلك مدة . غير أننا لا ندري إلى متى بقيت على هذه الحال . والظاهر أن مدناً أخرى أخذت تنافسها ، مثل مدينة Charax ، فأثرت هذه المنافسة فيها ، وذلك بتحويل الطرق البحرية عنها ، وتحسن وضع صناعة السفن مما أدى إلى

١ « العقير : تصنيف العقر ٥٠٠ قرية على شاطئ البحر بحذاء هجر » ، البلدان (١٩٨ / ٦) ، Sprenger, Geographie, S., 135.

٢ Chessman, In Unknown Arabia, P. 28.

٣ The Empty Quarter, P., 3, Araber, I, S., 112.

٤ Forster, II, P., 216.

٥ Cheesman, P., 28.

٦ Skizze, II, S., 75.

٧ Geographical Journal, CVII, 142, Febr., 1946, P., 32.

٨ الصفة (ص ١٧٣) .

٩ Gloser, Skiyyle, II, S., 76.

تمكنها من قطع مسافات واسعة من غير حاجة الى التوقف في موانئ كثيرة فلم تعد تقف في موانئ الجرهائين أو أن الجرهائين لم يتمكنوا بذلك من مزاحمة السفن الأخرى فأخذ نجمها في الأفول بالتدريج . ولعل لتحول طرق القوافل البرية دخلاً في ذلك أيضاً . فقد كانت الطرق البرية تتحول دوماً ، لعوامل سياسية واقتصادية وعسكرية ، وبتحسن وسائل المواصلات ، فيؤدي هذا التحول إلى اندثار مدن وظهور مدن ، ولا نزال نرى أثر هذا التحول في حياة قرى جزيرة العرب .

وأما جزيرة Tyre/Tyros ، التي أشار (سترابو) إليها ، فإنها جزيرة (تيلوس) Tylus/Tylos ، التي ذكرها (بلينيوس)^١ . ويلاحظ وجود شبه بين (تيلوس) Tylus و (تلمون) أو (دلون) الواردة في النصوص الآشورية ، يحملنا على التفكير بوجود صلة بين الاسمين^٢ . وقد أشرت إلى ذهاب الباحثين إلى أن (تيروس) Tyrus هي جزيرة من جزر البحرين . أما (كلاسر) فيرى أنها ليست من جزر البحرين ، ولكنها جزيرة أخرى تدعى (دلة) أو (بليجرد) ، وقد رجح هذه الجزيرة على الأولى ، لأن موقعها أقرب في نظره إلى المسافات التي أشار إليها (سترابون) من (دلة) ، ومن جزر البحرين . وقد ذهب (فورستر) إلى أن (تيروس) Tyrus ، هي (أوال) . وأما Aradus ، فإنها (أرد) (أراد) ، أي جزيرة (المحرق) من جزر البحرين . وقد تكون لتسمية (خليج عراد) بهذا الاسم علاقة بلفظة (أرد) (عرد) القديمة^٣ .

ولم يعثر المتقنون حتى الآن على كتابات يونانية تشير إلى مدة حكم قواد الإسكندر للبحرين ولكنهم عثروا على فخار يوناني يعود عهده إلى أواخر القرن الرابع قبل الميلاد ، وعلى فخار محلي مصنوع في البحرين عليه أسماء يونانية ، وفي ذلك دلالة على سكن اليونان في البحرين لأغراض سياسية أو حربية أو تجارية . قد يكون ذلك منذ عهد الإسكندر فيما بعد إلى انتهاء ملك خلفائه (السلوقيين) ،

١ Pliny, II, P., 449.

٢ Gulf, P., 5,26; 27; Ency., I, P., 584; P.B. Cornwall; on the Location of Dilmun; Boas, No. 103, 1946.

٣ Forster, II, P., 219, 221, Gulf, P.; 31.

وقد يكون من عهد السلوقيين فما بعد حتى أيام (البارثيين) Parthians .

وأما موضع Macae المقابل لـ (هرموزي) (هرمز) Harmozi . فيعرف أيضاً باسم Maketa/Maceta^١ ، وهو مضيق Make لدى (بطلميوس)^٢ ، وهو (رأس الخيمة) الرأس البارز في مضيق (هرمز) Harmozi ، وربما الرأس وكل شبه الجزيرة المتصل بها . ويعرف هذا الرأس عند الغربيين باسم (رأس مستدم) Ras Musandam . وهو موضع يظهر أنه أحسد المواضع الواردة في كتابة (دارا) التي تشير إلى الأماكن التي كانت خاضعة لحكمه^٣ . ونجد شبيهاً في النطق بين Maka/Make/Macae و (مجان) (مكان) يحملنا على تصور أن الاسمين هما لشيء واحد ، وأن الاختلاف الذي نجده بين التسميتين هو من التحريف الذي يقع في النقل من لغة إلى لغة أخرى . وإذا صح هذا التصور كانت أرض (مكان) (مجان) ، في هذه البقعة من جزيرة العرب .

لقد قام تجار الخليج بالتوسط في نقل البضائع من الهند وإفريقية إلى العراق ، يوصلونها إلى موانئ العراق أو إلى موانئ الخليج ، ثم تنقل إما بالطرق المائية إلى إيران والعراق وإما بالطرق البرية . فقد تنقل التجارة إلى مدينة (كاركس) (خاراكس) Charax ، وهي (المحمرة) في الزمان الحاضر ، ثم توزع منها إلى مختلف الأنحاء ، وإما إلى ميناء (أبولوكس) Apologus ، ومنه بالنهر إلى الأمكنة المقصودة مثل (سلوقية) على دجلة مقابل (طيسفون) ، أي (المدائن) ، الموضع المعروف اليوم بـ (سلمان بك) ، وكانت عاصمة (السلوقيين) آنذاك ؛ أو إلى مواضع على نهر الفرات ، حيث تنقل منها برآ إلى بلاد الشام .

و (أبولوكس) Apologus هي (ابولم) Ubulum في الكتابات الأكادية . وقد ورد في نص أيام الملك (تغلت فلاسر) الثالث اسم قبيلة U-bu-lu ، كما ورد هذا الاسم على هذه الصورة : U-bu-lum في جملة أسماء القبائل التي انتصر عليها (سرجون الثاني) . ويرى (كلاسر) صلة بين Apologus و (أبلة) ،

١ Strabo, III, P., 186, Gulf, P., 40.

٢ Skizze, II, S., 249.

٣ Skizze, II, S., 249.

واسم هذه القبيلة التي تقع مواطنها على رآيه في جنوب العراق^١ .
وقد ذكر صاحب كتاب (الطواف حول البحر الأريتري)^٢ أن مدينة
(أبولوكس) ، هي في (بارثيا) ، أي في بلاد (الفرث) ، وأنها تصدر
اللؤلؤ والتعمر والذهب ومواد أخرى إلى العربية السعيدة ، وكانت تستورد بضاعة
ثمينة منها كذلك ، منها بضاعة من العربية الجنوبية، ومنها بضاعة إفريقية الأصل،
كما كانت تتجر مع الهند ، فهي (ميناء البصرة) بالنسبة إلى العراق في هذا
اليوم .

وفي الحرب الرابعة التي قام بها (أنطيوخس الثالث) Antiochus III
(٢١٩ - ٢١٧ ق. م.) اشترك في جيوشه زهاء (٢١٨) قبيلة عربية^٣ . وفي
الأردن هاجم العرب مدينة (ربة عمان) (فيلادلفيا) ، ونهبوها^٤ . وفي
ابتداء سنة (٢١٧ ق. م.) كان في جيش هذا الملك زهاء عشرة آلاف عربي
بإمرة (زبدبديلوس) (زبدابيل) Zabdidos . وهو اسم يظهر أن صاحبه كان
عربياً ، إذ هو (زبدابيل) على ما يظهر ، حرف فصار على هذا النحو. وقد
اشترك العرب مع هذا الملك في حصاره لمدينة (غزة)^٥ كما اشتركوا معه في
حربه الخامسة التي أججها في بلاد الشام ، حيث أشير اليهم أيضاً في معركة
Magnesia^٦ .

وقد ذهبت Pirenne إلى أن الكتابة المعينية التي أمر بكتابتها كبير (مصران)
(كبير مصرن) و (معين مصران) وسمها العلماء بـ Res 3022 ، هي كتابة
تشير إلى هذه الحروب التي نشبت بين (أنطيوخس الثالث) وخصومه البطالمة ،
وأدت إلى احتلال (غزة) سنة (٢١٧ ق. م.) . وترى من دراسة الكتابة
المذكورة أنها تعود إلى ما بين سنة (٢٢٠ ق. م.) و (٢٠٥ ق. م.) ، وأن
لفظة (مذى) التي تعني (الماذين) (الميديين) ، هي كتابة عن السلوقيين
الذين احتلوا بلاد (الميديين) وورثوا ملكهم منذ عهد الإسكندر^٧ .

١ Skizze, II, S., 188, Gulf, P., 53.

٢ Periplus Maris Erythraei, The Periplus of the Erythraean Sea.

٣ Polyb., 5,70, Araber, I, S.; 74, 289.

٤ Polyb., 5, 71.

٥ Araber, I, S., 74.

٦ Araber, I, S., 77, 171.

٧ Pirenne, Paléographie des Inscriptions Sud-Arabs (1956), 211. Araber I, S., 74.

وورد في الأخبار ان فرقة من العرب من ركبان الإبل ، كانت في جيش (أنطيوخس) وذلك في حوالي السنة (١٩٠ ق. م.)^١ . ويظهر انها كانت تقوم بحماية حدود الدولة السلوقية وحفظها من غزو الأعراب لها ، وبالحرب في الصحراء ومساعدة الجيش السلوقي في البادية عند اضطرابه إلى اجتيازها .

هذا ويلاحظ ان معظم القبائل كانت قد أبدت (أنطيوخس) ضد (بطليموس) والبطالة الذين ورثوا القسم الغربي من تركة (الإسكندر)^٢ . ولعل سبب ذلك هو ان ملك (أنطيوخس) لم يكن قد مس أرض العرب والأعراب ، ولذلك لم يكن له إشراف مباشر عليهم يستوجب اثارهم . أما البطالة ، فقد كانوا يمتلكون أرضين ، أصحابها عرب ، وتعيش في أرضهم قبائل عربية من قديم الزمان ، ولذلك لم تستطع هضم (البطالة) فأرادت التخلص منهم بالانضمام إلى منافسيهم في الجزء الشرقي من امبراطورية (الإسكندر) .

ويحدثنا الكتاب (الكلاسيكيون) ان (بطليموس ساطر)^٣ (٣٢٢ - ٢٨٣ ق. م.) أرسل جيشاً إلى (سلوقس نيقاطور) (٣١٢ - ٢٨٠ ق. م.) فخرج من مصر واجتاز (سيناء) إلى غزة ، ومنها إلى (بطرا) ، فركب الجمال ، وتمون بالماء ، واجتاز البادية ، فكان يقطعها بسرعة كبيرة ليلاً ، لشدة الحرارة في النهار ، إلى أن بلغ العراق^٤ . أما البادية التي اجتازها هذا الجيش ، فهي بادية السماوة . وأما الطريق التي سلكها فهي الطريق المألوفة التي تسلكها القوافل ، وهي من أهم الطرق الموصلة إلى العراق وأقصرها ، وقد أرسل (سلوقس نيقاطور) Seleucus Nicator (ميكستينس) Magastenes إلى الهند^٥ .

وكان (بطالة) مصر أنشط من السلوقيين في مجال الاشتغال بالتجارة البحرية الجنوبية ، والاستفادة من البحر ، إذ وجهوا أنظارهم نحو البحار الجنوبية ، فأرسلوا بعثات استكشافية عدة لدراسة أحوال البحار والسواحل والشعوب ، لتطبيق ما تتوصل إليه من معارف في مقاصدها العملية التي أرادت تنفيذها في تلك البحار . ولعل

١ Livius, XXXVII, 40, 12, Grohmann, Arablan, S.; 23.

٢ Polybius, V, 71, Arabien, S., 23.

٣ « بطليموس ساطر » ، الطبري (١ / ٧٠٣) « ليدن »^٥

٤ Hegaz, P., 216.

٥ Montgomery P., 72.

لوضع مصر الجغرافي الممتاز الذي يكون قنطرة بين البحرين وسوقاً تلتنقي به التجارات الآتية من الشمال ومن الجنوب ، من أوروبة وحوض البحر المتوسط ومن السودان والحبشة وبقية أنحاء إفريقيا ثم من جزيرة العرب والهند دخلاً في هذا الاهتمام بالبحر الأحمر وبالمحيط الهندي الذي أظهرته حكومة البطالة ، فقد سبقهم إليه قدماء المصريين ثم الفرس ثم الإسكندر ، فاهتمامهم هذا هو في الواقع استمرار لتنفيذ تلك المقاصد القديمة المذكورة .

وأمر (بطلميوس الثاني فيلادلفوس) (٢٨٥ - ٢٤٦ ق.م.) (٢٨٤ - ٢٤٧ ق.م.) ، بإعادة حفر القناة القديمة بين النيل والبحر الأحمر ، (المشروع) الذي بدأ به المصريون لربط البحرين وبتوسيع التجارة مع سواحل إفريقيا وسواحل جزيرة العرب والهند ، وبتكثير الأصناف التي كانت تستورد من المناطق الحارة ، وبذلك اتخذت تجارة مصر والبلاد العربية وإفريقية شكلاً لم تعهده من قبل^١ .

وذكر (ديودورس) أن آخر محاولة جرت لوصول البحر الأحمر بالنيل كانت في أيام (بطلميوس الثاني فيلادلفوس) حيث عزم على شق قناة منه الى خليج السويس عند مدينة (أرسينو) Arsino . وقد أطلق على القناة التي أمر بشقها اسم (قناة بطلميوس)^٢ . وقد شقت في حوالي سنة (٢٦٩ ق.م.) ، كما حصنت المدينة بسور حصين لحمايتها من الغارات. وقد قصد بذلك غارات الأعراب الذين كانوا في الأرضين منذ أمد طويل^٣ . ولعل هذا الملك هو السدي أرسل (أرستون) (أرستون) Ariston للكشف عن سواحل البحر الأحمر من السويس إلى المحيط الهندي^٤ ، ولعله أيضاً الملك الذي ساعد أهل (مليتيوس) ، وهم يونان، أسسوا مستعمرة Ampelone/Ampelonaea في مكان ما من الساحل العربي للبحر الأحمر وأمدتهم برعايته . وهي مستعمرة أشار إليها الكتبة (الكلاسيكيون) . والظاهر أنها واحدة من مستعمرات مشابهة ، أسسها الروم على سواحل البحر الأحمر ، لحماية سفنهم وتجارتهم وامتدادها بما تحتاج إليه من معاونة ومساعدة ولشراء ما يرد إليهم من بر جزيرة العرب .

O'Leary. P. 71. S.A. Huzayyin, Arabia and the Far East, P. 86. ١

Booth, P., 16. ٢

Araber, I, S., 72. ٣

Araber, I, S. 67, Tran, in : Journal of Egypt. Archeol., 15; (1929); 14. ٤

وقد عاد (أرسطون) من أسفاره البحرية ، فقدم تقريراً إلى ملكه ذكر فيه قوم (ثمود) في جملة من ذكرهم من الشعوب ولعله أول إغريقي ذكرهم . وفي أيام (بطليموس فيلادلفوس) كذلك ، أسست موانئ جديدة على سواحل البحر الأحمر ، لرسو السفن فيها ، وللمحافظة على الطرق البحرية من لصوص البحر ، بلغت مداها جزيرة (سقطرى) Dioscorida^١ ، حيث أنشئت فيها جملة مستعمرات يونانية . وقد بقي اليونانيون فيها عصوراً غير ان نزولهم فيها لا يدل على احتلالهم لها^٢ . وفي أيام صاحب كتاب « الطواف حول البحر الأيرتي »^٣ كانت الجزيرة على حد قول المؤلف في حكم (البعزوز) Eleazus ملك (سباتا) Sabbatha ، أي (شبة) . ويدل هذا على أنها كانت تابعة للعربية الجنوبية . ويظهر ان (بطليموس فيلادلفوس) قصد أيضاً الالتفاف حول السواحل العربية وضرب الفرس وإلحاق الأذى بهم ، بأسطول كوته لهذه الغاية^٤ . وقد كانت جزيرة (سقطرى) (سقطرة) ذات أهمية في ذلك العهد ، وإن فقدت أهميتها في الزمن الحاضر فلا يعرفها ولا يذهب إليها اليوم إلا القليل . وذلك لأنها كانت تنتج حاصلات لها أهمية كبيرة في أسواق العالم إذ ذاك مثل البخور والصبر والصمغ وغير ذلك ، وهي سلع لها قيمة ، تشبه قيمة البترول في القرن العشرين ثم لأنها محطة مهمة لاستراحة رجال السفن ومفتاح يؤدي إلى مغالق المحيط الهندي من جميع النواحي ، ولما كانت السفن في ذلك العهد صغيرة ، سبورها الرياح ، وليس في مقدورها أن تحمل مقادير كبيرة من الماء العذب والأكل ، كان لا بد لها من الوقوف في منازل عديدة ، ومنها هذه الجزيرة ، التي يعني اسمها (جزيرة السعادة) ، إذ يذكر الباحثون ان تسميتها جاءتها من السنسكريتية (ديفيا سوختارا) Dvipa Sukhatara وهي تسمية إن صح أنها من هذا الأصل ، فإنها تدل على صلة أهل الهند بها منذ عهد قديم^٥ .

^١ Dioscordia, Dioscorides, Dioscurias, Dioscora, Willam Vincent, The Periplus of the Erythrean Sea, Part the Second, London, 1805, P., 307.

^٢ O'Leary, P. 72, Vincent, II, P. 309.

^٣ Periplus of the Erythrean Sea.

^٤ Vincent, II, P. 309, O'Leary, P. 72.

^٥ Stuhlmann, Der Kampf, S., 10.

^٥ مروج الذهب (١ / ٣٣٥) .

^٦ H. F. Tozer, A History of Ancient Geography, Cambridge, 1935, P. 138.

وأهلها خليط من عرب وروم وإفريقيين وهنود ، يتكلمون بلهجات متداخلة ، وهذا الاختلاط نفسه أمانة على الأهمية التي كانت للجزيرة في ذلك الزمن. وقد ذكر (ياقوت الحموي) ان أكثر أهلها نصارى عرب ، وان اليونانيين الذين فيها يحافظون على أنسابهم محافظة شديدة وقد وصلوا اليها في أيام الإسكندر ، ويزعم بعض الأخباريين ان (كسرى) هو الذي نقل اليونانيين اليها ، ثم نزل معهم جمع من (مهرة) فساكنوهم وتنصر معهم بعضهم^١ . وفي الروايات العربية عن الروم الذين بجزيرة (سقطرى) شيء من الصحة .

والذين يزورون هذه الجزيرة في هذه الأيام ، يرون آثار ذلك الاختلاط وتشابهك الشعوب والثقافات فما زالت الآثار النصرانية باقية فيها ، تتحدث عن انتشار النصرانية فيها ، وعن وجود جالية رومية ، أنساها الزمن أصلها فدخلت في أهل (سقطرى) ، وأخذت لساناً جديداً مزيجاً من ألسنة آرية وسامية وحامية. ولا يزال كثير من أهلها يسكنون الكهوف والمغاور ويعيشون عيشة بدائية، لانعزال الجزيرة عن بقية العالم .

لقد صرف البطالسة مجهوداً كبيراً في سبيل السيطرة على البحر الأحمر والتوسع في المحيط الهندي ، وقد تابع البطالسة الذين خلفوا (بطليموس الثاني فيلادلفوس) خطته في التوسع في السواحل الأفريقية وفي المحيط الهندي ، وأخذوا يرسلون الرجال المغامرين إلى تلك الأماكن للكشف عنها بغية الوقوف على أحوالها والاستفادة مما يحصلون عليه في سياسة التوسع التجاري والسياسي التي وضعوها للبلاد التي تقع في المناطق الحارة . وقد جمعت التقارير وكانت مهمة ولا شك ، ووضعت في خزائن الاسكندرية ، وقد وقف على بعضها الكنية (الكلاسيكيون) .

وقد أخرجت أيام البطالمة جماعة من المغامرين الإغريق جسابوا البحر الأحمر وسواحله ، ودخلوا بسفنهم المحيط الهندي حتى بلغوا الهند^٢ . غير أن تجارة الهند ، والبحار ، بقيت في الجملة في أيدي العرب . ولم يحاول البطالمة تغيير الوضع وتبديل الحال . وقد انحصرت كل محاولتهم في توجيه التجارة من الموانئ

١ البلدان (٥ / ٩٣) ، ويذكر المسعودي أن « أرسطوطاليس » ، هو الذي كتب إلى الاسكندر حين سار إلى الشرق يوصيه بهذه الجزيرة ، وكان يحكمها ملوك الهند ، فنزل اليونانيون بها ، وأقاموا بها ، وتنصروا بعد ذلك ، وذكر أن بوارج الهند تأتي إليها في أيامه ، مروج الذهب (١ / ٣٣٥ وما بعدها) .

٢ Strabo, 15, 1, 4, O'Leary, P. 73.

العربية إلى سواحل مصر . لقد كان بحارة العربية الجنوبية أصحاب كفاية ودراية ، وما زالوا ملاحين أكفاء حتى الآن^١ . فلم يكن من السهل على البطالة اخراجهم من البحر وابعادهم عنه . ولقد حاول البرتغاليون من بعدهم بعدة قرون اقضاء العرب عن تجارة الهند وإفريقية ، ومنع سفنهم من الظهور في المحيط الهندي ، فباءت محاولاتهم بالاختفاق ، وبقوا في البحر بالرغم من أنف البرتغاليين .

وقد وجه (بطليموس أورغاطس الثاني) Ptolemy Energetes^٢ (١٤٦ - ١١٧ ق.م.) ، انتباهه نحو البحر الأحمر والمحيط الهندي والهند ، فكان أسطولا قويا من البحر الأحمر ، قام برحلات منتظمة إلى قبة أنظار التجار : الهند . وبظهر من بعض الكتابات أنه خصص موظفين بإدارة أعمال السفن والسهر على سيرها وإدامتها وتنميتها . أناط بهم حماية السفن التجارية وحراستها حتى لا يتحرش بها لصووس البحار ، الذين كانوا يهاجمون السفن المحطمة ويأخذون ما فيها ويتعرضون للسفن المحملة بالأنقال فيأخذون ما فيها وينقلونه إلى الساحل . وقد ألف لتحقيق هذه المهمة حرساً بحرياً أخذ دور شرطة بحرية ، واجبها تقديم المساعدات لمن يطلبها وتعقب اللصوص^٣ .

وقد برز اسم قائد محنك من أهل Cyzicus/Kyzikus استطاع أن يبلغ الهند وأن يتاجر معها ، وأن ينشئ خطاً ملاحياً منتظماً بين مصر والهند . وقد استطاع هذا القائد المسمى بـ (يودوكسوس) Eudoxus أن يتعلم أشياء كثيرة من أسرار الملاحة البحرية وأخطارها ومجازفاتها ومن معارفها والأماكن التي يجب النزول بها ، ولعل ادراك (هيبالس) (هيبالوس) Hippalus لأهمية الرياح الموسمية واستعماله لها ، هو ثمرة من ثمرات الرحلات التي قام بها (يودوكسوس) للهند . وإذا لم يكن (هيبالوس) من رجال ذلك القائد ، فإنه لم يكن بعيد عهد عنه على كل حال^٤ .

وكان الساحل الشمالي الغربي لجزيرة العرب ، أي القسم الجنوبي من المملكة الأردنية الهاشمية في الزمان الحاضر وأعالي الحجاز للنبط . لهم حكومة تحكمهم ،

١ O'Leary, P. 73.

٢ « بطليموس أورغاطس » ، الطبري (٧٠٣ /) ، « ليدن » .

٣ Araber, 1, S., 69.

٤ Araber, 1, S., 131.

إلا أنها كانت تخضع لنفوذ البطالة وقد تأثرت مصالحهم كثيراً ، ولا شك بتدخل البطالة في أمور البحر وبوضعهم اليونان في أماكن متعددة من الساحل لحاية سفنهم ، ولاتجارهم مباشرة مع موانئ جزيرة العرب ، حيث أثر ذلك على القوافل التجارية البرية التي كانت تحمل تجارات إفريقية والهند والعربية الجنوبية فتأتي بها على ظهور الجبال إلى بلاد الشام محترقة أرض النبط وبذلك تدفع لهم حق المرور .

ولم يتأثر النبط وحدهم بسيطرة البطالة على البحر الأحمر ، بل تأثر بهذه السيطرة عرب الحجاز والعربية الجنوبية كذلك . إذ أخذت سفن البطالة تصل بنفسها وبحراسة السفن الحربية إلى الموانئ المشهورة ، فتشتري ما تحتاج إليه وتبيع ما تحمله من سلع ، وحرمت بذلك التجار العرب من موارد رزقهم التي كانوا يحصلون عليها من الاتجار بالبحر . وقد اضطرت التجار العرب على ترك البحر للمنافسين الأقوياء وعلى الاقتصار على لإرسال تجارتهم بطرق البر نحو بلاد الشام .

ويظهر ان عرب البحر الأحمر ، لم يكونوا يميلون إلى ركوب البحار وبناء السفن قبل أيام البطالة وبعد أيامهم كذلك . ولهذا فلم تكن لديهم سفن مهمة مذكورة في هذا البحر . ولم تكن لهم سيطرة عليه . بل يظهر انهم كانوا يتخوفون من ركوب البحر ، وفي المثل المنسوب إلى (أحيقار) : « لا تُرَ العربي البحر ، ولا ساكن صيدا البادية »^١ ، تعبير عن وجهة نظر عرب العربية الغربية وأعراب البادية بالنسبة إلى البحر ، والتجارة البحرية .

وقد كان ميناء (ايلة) Ailana/Elloth في أيدي البطالة في هذا العهد^٢ . وهو ميناء مهم ترسل منه تجارة فلسطين إلى موانئ البحر الأحمر وإفريقية . كما كان يستقبل السفن القادمة من إفريقية ومن المحيط الهندي. فهو اذن من الأسواق التجارية المعروفة في ذلك العهد .

لقد كان ميناء (لويكة كومة) Lueke Kome^٣ ، أي (المدينة البيضاء) من أهم الموانئ التجارية على سواحل الحجاز على عهد البطالسة ، منه تنج

١ Araber, 1, 70.

٢ Araber, 1, S., 69.

٣ Leuce Kome, Forster, 1, P., 220.

السفن إلى الساحل المصري لتفرع شحنتها هناك ، فتنقل إما بواسطة القوافل ، وإما بالسفن من القناة المحصورة بين البحر الأحمر وهر النيل لتتبع طريقها إلى موانئ البحر المتوسط^١ ، وقد كان من موانئ النبط ، ذكره (سترابون) في معرض كلامه على حملة (أوليوس غالوس) على جزيرة العرب ، ففيه نزلت جيوش الرومان القادمة من مصر للاتصال بحلفائهم النبط^٢ ، ولا يعرف موضعه الآن معرفة تحقيق ، وإنما يرى بعضهم انه (الحوراء)^٣ ، مرفأ سفن مصر إلى المدينة^٤ ، ويظهر ان (الحوراء) كان من المواضع الجاهلية القديمة وقد وجدت فيه آثار قصور .

ورأى (ونست) Vincent ان (لويكة كومة) هو (المويلح) في الزمان الحاضر^٥ ، وهي قرية بها بساتين ومزارع ونخيل ، ومياهها من الآبار، لها طريق قوافل إلى المدينة وإلى تبوك^٦ . ورأى آخرون انها (عينونة) أو (الخريبة) وهي تابعة لإمارة (ضبا) على ساحل البحر الأحمر ، وهي من إمارات الحجاز^٧.

ويظهر ان تجارة هذا الميناء كانت عامرة جداً ، فكانت القوافل التي تنقل البضائع بين (بطرا) Petra وبين Leuce Kome/Leuke Kome ضخمة جداً حتى كأنها قطع كبيرة من الجيوش^٨ ، تقوم بنقل الأموال من الميناء إلى (بطرا) ومنها إلى الأسواق ، أو بنقل التجارة الواصلة إلى (بطرا) من العراق أو الخليج أو اليمن ، ومنها إلى ذلك الميناء لتصديره إلى مصر وحوض البحر المتوسط ويتبين من إهمال الكتب اليونانية أو اللاتينية ذكر هذا الميناء بعد الميلاد ان شأنه أخذ في الأفول منذ ذلك العهد . ولعل ذلك بسبب تحول خطوط سير السفن في البحر الأحمر بعد استيلاء الرومان على مصر ، وانشائهم أسطولاً تجارياً كبيراً في

Vincent, II, PP., 230. ١

Skizze, 11, S., 46. ٢

Forster, 1, P., 220. ٣

البلدان (٣ / ٣٥٩) . ٤

Forster, II, P. 285. ٥

حافظ وهبة ، جزيرة العرب (ص ١٩) . ٦

فؤاد حمزة . قلب حريره العرب (ص ٧٢) ٧ Hegaz, PP 125

Huzayyin P 112, Strabo, 16, 4, 33. ٨

هذا البحر قام بالاتجار مباشرة مع إفريقية والهند ومصر ، فلم تبق له حاجة إلى التزول في هذا الميناء .

و Leuce Kome/Leuke Kome ، اسم أعجمي بالطبع ، ورد في الكتب (الكلاسيكية) ، لا ندري أهو ترجمة لمسمى عربي ، أم هو اسم حقيقي لذلك الميناء أطلقه عليه مؤسسوه في زمن البطالمة ، أو قبل ذلك ، وكانوا من اليونان ، ولوجود خرائب عديدة على ساحل الحجاز (ترجع إلى ما قبل الإسلام ، بها آثار يونانية ورومانية ، لم تدرس دراسة علمية دقيقة ، ولم تمسها أيدي المتقنين) ، لا يمكن القطع في موضع هذا الميناء وفي اسمه الحقيقي الذي كان يعرف به .

والميناء الآخر المهم الذي تاجر البطالمة معه ، ونزل فيه رجالهم هو ميناء Muza/Mauza . وهو (مخا) . وهو ميناء قديم ، وقد عثر على مقربة منه على كتابة وسميت بـ Ry. 598 . وقد قدر زمان كتابتها بحوالي سنة (٣٠٠) أو (٢٥٠ ق.م.)^١ . وكان في أيام صاحب كتاب (الطواف حول البحر الأريتري) تابعاً لملك سماه Charibael ملك Sapphar . و Charibael هو (كرب ايل) وكان ملكاً على (سبأ) . ويستنتج من الكتاب المذكور أن حكم هذا الملك كان قد امتد على أرض Azania وعلى أرضين أخرى مجاورة لها في إفريقية^٢ ، أي ان تلك الأرضين كانت خاضعة لحكام اليمن في ذلك العهد .

وتعامل البطالمة مع ميناء آخر يقع على السواحل العربية ، هو ميناء Arabeae Eudaemon ، فكان تجارهم يأتون بسفنهم إليه ، فيشترون من تجاره ما يحتاجون إليه . كما أنهم اتخذوه محطة للاستراحة وللتزود بالماء والزاد ، وللقيام منه برحلات بعيدة إلى سواحل إفريقية ، أو الذهاب إلى الهند . وهذا الميناء هو (عدن) الشهير ، الذي لا يزال محافظاً على كيانه وعلى أهميته في العالم السياسي والحربي والاقتصادي . وذلك بفضل مكانه الحصين واشرافه على المحيط في مكان مشرف على باب المندب مفتاح البحر الأحمر وعلى الساحل الإفريقي . وقد كان هذا الميناء موجوداً ومعروفاً قبل البطالمة ، بدليل اشتهاره عندهم

Araber, I, S. 133, J. Pirrenne in : Le Muséon, 73, (1960), 6. ١

Araber, I, S., 133. ٢

وانتخاذه محطة لهم . ولكننا لا نعرف من تأريخه القديم شيئاً كثيراً ، وقد عثر فيه على كتابات بالمسند إلا أن العلماء لم يستطيعوا حتى الآن التحدث بشيء من التفصيل عن تأريخ عدن قبل هذا العهد^١ . وقد ازدادت عناية الغربيين به منذ حملة (أوليوس كالوس) ، كما سأتحدث عنه فيما بعد .

ويرى بعض الباحثين أن ما ذكره بعض (الكلاسيكيين) من وجود مدن أو جاليات يونانية مثل Arethusa (أرتوسه) و (لاريسا) Larissa و (خلقس) Chalkis في بلاد العرب ، إنما يراد بها مواضع يونانية أقيمت في أيام (البطالة) على الساحل الجنوبي لجزيرة العرب في مواضع لا تبعد كثيراً عن (عدن) . وقد بقيت حياة عامرة إلى سقوط حكم (البطالة) فضعف أمر تلك المستوطنات ولم يسعفها أحد من اليونان أو الرومان بالمساعدة فدمرت ، دمرتها القبائل العربية الساكنة في جوارها^٢ .

أما موضع (ابنه) Athene/Athenae/Attene ، الذي ذكره (بلينيوس) مع المواضع المذكورة فقد ذهب أكثر الباحثين إلى أنه (عدن) . وهو موضع كان معروفاً عند اليونان والرومان معرفة جيدة ، وكانت سفن البطالة تأتي إليه للتجارة .

وقد ذهب (تارن) W. W. Tarn إلى أن مستعمرة (أمبلونه) Ampelone وهي إحدى المستعمرات اليونانية التي أقيمت على ساحل البحر الأحمر ، إنما هي مستعمرة أنشئت في أيام (بطلميوس الثاني) ، وقد استوطنها قوم من أهل Miletos ، لغرض إبحار السفن منها إلى البحار الجنوبية واستقبال السفن القادمة منها^٣ .

لقد أحدث دخول اليونان البحار الجنوبية من الخليج العربي ومن البحر الأحمر احتكاكاً مباشراً بين الثقافة اليونانية والثقافات الشرقية ، وقد عثر على كتابات يونانية في مواضع متعددة من الخليج ومن السواحل الإفريقية تتحدث عن وجود اليونان في هذه الأماكن ، فقد عثر على كتابات من أيام السلوقيين في جزيرة (فيلكا) ، وكتابات لـ (بطلميوس الثالث) (أورغاطس) Euergetes

1 Stuhlmann, S. 121.
2 Araber I, S., 121.
3 Araber I, S., 70.

(٢٤٧ - ٢٢١ ق. م.) في (أدولس) Adulis عند (مصوع)^١ ، وعثر على نقود في مواضع متعددة من السواحل الجنوبية لجزيرة العرب والسواحل الإفريقية ، ومنذ هذا العهد دخلت المؤثرات الثقافية اليونانية إلى الحبشة وإلى مواضع أخرى من افريقية^٢ .

وقد عثر في خرائب مدينة (تمنع) على كثير من الأشياء (الهيلينية) الأصل أو المتأثرة بالهيلينية : من تماثيل ، وتحف فنية ، وفخار ، وما شابه ذلك^٣ ، هي من نتائج التبادل التجاري ، والاتصال الذي كان بين حوض البحر المتوسط والعربية الجنوبية . وقد تربنا الحفريات في المستقبل آثاراً أخرى تتحدث عن أثر الثقافة اليونانية في جزيرة العرب في نواح أخرى عديدة لم نعرفها بعد .

وكان من نتائج دخول اليونان إلى الخليج العربي والبحر الأحمر، دخول النقود اليونانية إلى جزيرة العرب ، وظهور دور ضرب السكة فيها . وقد عثر في مواضع من الجزيرة على نقود ضرب بعضها على طراز نقود (الإسكندر الأكبر) وضرب بعض آخر في أيام خلفائه ، كما عثر على نقود محلية ضربت في العربية الجنوبية ، وقد تبين من دراستها وفحصها أنها ضربت على الطريقة اليونانية ، ويظهر الأثر اليوناني واضحاً فيها . وسأتحدث عن ذلك في الموضع الخاص بالنقود .

هذا وقد كشفت جزيرة صغيرة من جزر الخليج العربي، هي جزيرة (فيلكا) من جزر الكويت عن بعض أسرارها التاريخية القديمة ، فقدمت بعض الهدايا والعطايا لبعثة أثرية (دانماركية) نبشت الأرض في مواضع منها، وإذا بها تتحدث إليها بتحفظ وبحرص عن أيامها الأولى ، في (العصور البرنزية) ثم في (العصور الحديدية) ، ثم عن صلاتها بالعراق حيث نزل بها الأكاديون والآشوريون ، وعن صلاتها بالجزر الأخرى مثل البحرين ، وعن صلاتها بالفرس ثم باليونان في أيام (الإسكندر الكبير) وخلفائه ، حيث نزل بها جنوده وقوم من أتباعه وأتباع من جاءوا بعده من حكام .

Stuhlmann, S., 10. ١

Stuhlmann, S., 10. ٢

BOASOOR, 119, (1950), P., 6. ٣

وفي جملة ما عثر عليه في هذه الجزيرة مما هو من أيام خلفاء الإسكندر ، كتابة يونانية على حجر ، عثر عليه سنة (١٩٣٧ م) ، أي قبل قيام البعثة الدانماركية بأعمال الحضر ، احتفظ به أحد الانكليز وإذا به مقدمة قدمها أحد المواطنين الأثينيين ، واسمه (سوتيلس) Soteles والجنود إلى (زيوس المخلص) Zeus Sotore وإلى (بوزيدون) Poseidon وإلى (أرتميس المخلصة) Artemis Soteira^١ . فيظهر منها ان حامية يونانية كانت في هذه الجزيرة، لعلها من بقايا الجيش الذي بعث به الإسكندر للسيطرة على الخليج ولفتح الهند والجزر المقابلة لبلاد العرب ولسواحل جزيرة العرب .

وعثر على قوالب كثيرة من الآجر لصنع التماثيل ، منها قالب ظهر انه حفر حفراً ليوضع في داخله مادة تتحول إلى تماثيل ، وقد تبين من صنع تماثيل فيه أنه يمثل وجهاً له شبه كبير بوجه الإسكندر ، فلعله كان قد صنع ليمثل وجه ذلك الرجل ، كما عثر على تماثيل يظهر عليها أثر الفن اليوناني ، وعلى أنواع من الفخار والأختام والآجر تمثل عهوداً مختلفة أقدم من عهود اليونانيين ، ترجع بتاريخ الجزيرة إلى حوالي الألف الثالثة قبل الميلاد^٢ .

ومن الآثار المهمة النفيسة التي عثرت البعثة الدانماركية عليها ، كتابة مدونة على حجر في (٤٤) سطرأ ، تفيد ان الملك بعث برسالة إلى أهل (ايكاروس) Ikarus في شأن عزمهم على اقامة معبد في تلك الجزيرة ، وتعيين كهان لها ، وتبين موافقة الملك عليه ، وتحدد الأجور والنفقات التي تدفع ، وحقوق الحكومة من الواردات وكيفية الجباية ، وما شاكل ذلك .. وهي رسالة لم تحل رموزها حلاً تاماً حتى الآن ، لوجود كسور في الحجر وذهاب حروف بعض الكلمات . ويظن انها من أيام (سلوقيوس الثاني) المعروف بـ (كلينيكوس) ، دونت في حوالي سنة (٢٣٩ ق. م.)^٣ .

١ تقرير شامل عن الحفريات الأثرية في جزيرة « فيلكا » ، وزارة التربية والتعليم، قسم الآثار والمتاحف ، الكويت ، مطبعة حكومة الكويت ، (ص ٩ ، ٢٧) « ١٩٦٣ م » وسيكون رمزه : تقرير

٢ تقرير (ص ١٣) .

٣ P. V. Glob, Investigations in Kuwait, Kuml, 1958, 170. f.

E. Albrechtsen, Alexander the Great's visiting Card, Kuml, 1958, 186, Grohmann, Arabien, S., 259, Die Araber, IV, S., 68.

ويعود عهد النقود التي عثر عليها في هذه الجزيرة إلى هذا الزمن أيضاً ، فقد وجد نقد ضرب في أيام (سلوقس الأول) باسم الإسكندر الأكبر حوالي (٣١٠ - ٣٠٠ ق.م) ، فهو لا يبعد كثيراً عن أيام الإسكندر المتوفى سنة (٣٢٣ ق.م) . ووجد نقد ضرب في أيام (أنطيوخس الثالث) ، الذي حكم المملكة (السلوقية) ما بين (٢٢٣) و (١٨٧ ق.م)^١ .

ولاكتشاف هذه النقود شأن تاريخي كبير لأنها تشير إلى تدخل اليونان في أمور الخليج في هذا العهد ، وحكمهم لسواحله العربية من (جرها) إلى جنوب العراق ، كما أنها ستعين في التوصل إلى تثبيت تواريخ حكم السلوقيين لهذه المنطقة . وسيكون لما سيكتشف من نقود في الكويت ، أو في مواضع أخرى من الخليج ، فائدة كبيرة في توسيع معارفنا بالسلطان الاقتصادي والسياسي للسلوقيين في هذه الجهات وفي تعيين صلاتهم بالشعوب العربية الساكنة على بقية ساحل الخليج وفي الأرضين البعيدة عن منطقة سلطان السلوقيين .

ويعد اكتشاف آثار الـ (اكروبولس) Akropolis وكذلك المعبد في جزيرة (فيلكا) التي هي جزيرة (ايكاروس) Ikaros عند اليونان ذا أهمية كبيرة من ناحية دراسة الأثر الذي تركه اليونان في الخليج^٢ .

أما في الساحل المقابل للجزيرة وفي الأماكن الأخرى من الخليج ، فلم يعثر حتى الآن على مثل هذا المعبد اليوناني أو البيوت اليونانية فيها ، ولهذا لا نستطيع أن نتحدث عن أثر اليونان فيها ، وقد يكون وجود المعبد والبيوت اليونانية في هذه الجزيرة بسبب إبقاء حامية الإسكندر فيها وسكانهم في الجزيرة وبقائهم بها بعد زوال حكم اليونان عن العراق . وقد اختار الاسكندر أوقوآده هذه الجزيرة ، لأهميتها من الوجهة العسكرية من حيث رسو سفن الجيش اليوناني بها وامكان تأديب سكان السواحل منها وإخاد معارضتهم لليونان وتعقب (القراصنة) والهيمنة على مصب دجلة والفرات في الخليج والدفاع عن جنوب العراق .

لم يتمكن السلوقيون من الهيمنة على الخليج والاتجار به ، لأن حكومتهم في

١ تقرير (ص ١٦ ، ١٧) ، ، نقود يونانية من جزيرة « فيلكا » ، مطبعة حكومة الكويت .

٢ Kuml, 1959, 236, 238, Grohmann, Arabien, S., 259.

العراق لم تكن حكومة قوية ، ثم سرعان ما قضى عليها الفرس ، فزال حكم اليونان عن العراق . أما في مصر ، فقد قضى الرومان على حكم البطالمة، وانتزعوا الحكم منهم. وورث الرومان اليونان في البحر الأحمر ، وولوا أنظارهم نحو سواحله ونحو المحيط الهندي ، على حين انتزع الخليج من الروم ومن الرومان ، وصار بجزراً شرقياً ، السلطان الأول فيه للعرب والفرس .

لقد كافح البطالمة أعمال اللصوصية (القرصنة) في البحر الأحمر ، وأمنوا بذلك لسفنهم السير في هذا البحر ، إلا أنهم لم يتمكنوا من السيطرة على العربية الغربية ، ولم يتمكنوا من المساهمة مع العرب في الإبحار برأ مع اليمن وبقية العربية الجنوبية . لقد كانت التجارة في أيدي العرب . وكان المهيمن على النهاية القصوى لهذه الطرق البرية (النبط) الذين تكتلوا في أعالي الحجاز ، وكونوا لهم مملكة النبط ، وأخذ نجمهم في الصعود منذ أيام (الإسكندر الأكبر) وقد ساعد في صعوده الحروب التي نشبت بين البطالمة والسلوقيين ، فوجد النبط لهم فرصة مؤاتية فأخذوا يوسعون أرضهم، ويتقدمون نحو الشمال متوغلين حتى بلغوا أرضين تقع شمال (دمشق)^١ .

وأدت الحروب التي نشبت بين السلوقيين والبطالمة إلى تقدم القبائل العربية وزحفها من الجنوب نحو الشمال ، وزاد من توسعها تفتت مملكة السلوقيين وتقلص سلطانها ، مما أفسح في المجال للقبائل بالتزوح بكل حرية إلى أرضين جديدة في العراق ، وتكوين إمارات من قبائل متحالفة . كذلك أدى ضعف حكومة البطالمة إلى توسع القبائل العربية وتوغلها في طور سيناء وفي المناطق الشرقية من مصر الواقعة على الضفاف الشرقية لنهر النيل ، مما حمل بعض الكتبة (الكلاسيكيين) على إطلاق لفظة (العربية) عليها دلالة على توغل القبائل العربية فيها بالطبع^٢ .

وإلى عهد البطالمة ترجع الكتابات العربية المدونة بالمسند التي عثر عليها في الجزيرة بمصر . وقد كتبت في السنة الثانية والعشرين من حكم بطلميوس بن بطلميوس ، ويصعب تعيين زمان هذه الكتابة وزمان بطلميوس بن بطلميوس

Araber, I, S., 5. f. ١

Araber, I, S., 6. f. ٢

الذي في أيامه كتبت ، لأن هنالك عدداً من البطالة حكموا أكثر من اثنين وعشرين عاماً ، فأيهم المقصود ؟ ويرى (وينت) F. V. Winnet أنها لم تكتب على أي حال بعد سنة (٢٦١ ق. م.)^١ . وعثر على كتابات أخرى في موضع (قصر البنات) على طريق (قنا) وفي منطقة (أدفو)^٢ ، ووجود كتابات المسند في مصر يدل على الصلات الوثيقة التي كانت بين العربية ومصر .

وقد دون إحدى هذه الكتابات رجل اسمه (زدال بن زد) (زيدال بن زيد) (زيد ايل بن زيد) من (آل ظرن) (آل ظيران) (آل ظيرون) ، وقد كان كاهناً في معبد مصري ، وقد اعترف بوجود دين عليه وواجب هو تزويد (بيبوت آلهة مصر) (معابد آلهة مصر) (ابنت الالهة مصر) بـ (المرّ والقليمة) (امرن وقلمتن) . ويقصد بـ (قلمتن) ما يقال له : Calamus في الانكليزية و Kalmus في الألمانية ، ويراد به ما يقال له قصب الذريرة أو قصب الطيب وقد عبر عن لفظة (ورد) واستورد بلفظة (ذسرب) . وذكر ان ذلك كان في عهد (بطلميوس بن بطلميوس) ، (بيومهر تلميث بن تلميث) ، أي (بيوم أو بأيام بطلميوس بن بطلميوس) . وقد عبرت عن لفظة (بطلميوس) بـ (تلميث) .

وقد استحق عليه تسديد الدين ، وصار نافذاً في شهر (حتحر) . وعبر عن ذلك بهذه الجملة : « ويفقر زبدال بورخ حتحر » . و (فقر) بمعنى أصبح مستحقاً نافذاً ، ومعنى الجملة : (واستحق تسديده على زيد ايل بشهر حتحر) . وقد وفي بذلك دينه ، لكل معابد آلهة مصر . وقدمت اليه في مقابل ذلك ، وربما على سبيل المقايضة ، أنسجة وأقمشة أو أكسية بز (كسوبوص) ،

BOASOOR, Number, 73, 1939, P., 7. ١

BOASOOR, Number 73, 1939, P. 7, Le Muséon, LVII; 1-2; (1949); P. 56; ٢

A. E. P. Weigall, Travels in the Upper Egyptian Deserts, London, 1909, P. 1

IV, Fig., 13; 14; H. Winkler, Rockdrawings of Southern - Upper Egypt, I,

London, 1938, P. 1, 4, Rhodokanakis, in Zeitschrift für Semitistik, Bd. 11;

1924, S. 113, Schwartz, Die Inschriften des Wüstentempels von Redeslye,

in : Jahrbuch für Klassische Philologie, Bd., CLIII, 1896, S. 157.

أخذها إلى سفينة تجارية ، ربما كانت سفينته . وقد أخذ عليه عهد واعترف مقابل ذلك بالدين الذي عليه وبوجوب تسديده عند استحقاقه لمعبد الإله (أثر هب) . (أثر هف) . ويقصد بذلك الإله Osarapis ، وذلك في شهر (كيهك) من السنة (خرف) الثانية والعشرين من حكم الملك (بطلميوس بن بطلميوس) .

وقد ذهب (رودو كناكس) ناشر النص إلى احتمال كون (زيد ايل) كاهناً في معابد مصر ، ولو كان من أصل غير مصري ، فقد كان المصريون تساهلوا في هذا العهد — كما يرى — ، فسمحوا للغرباء بالانخراط في سلك الكهان وخدمة المعابد ، وتساهلوا مع (زيد ايل) هذا فأدخلوه في طبقة (أوب) Ueeb وانتخبوه كاهناً ، ليضمن لهم الحصول على المرور والقليمة بأسعار رخيصة ، لاستيراده إياها باسمه ومن موطنه مباشرة من غير وساطة وسيط^١ .

وقد ذهب (رود كناكس) أيضاً إلى أن (زيد ايل) كان يستورد المرّ والقليمة لا لحسابه الخاص ومن ماله ، بل لحساب المعابد المصرية ومن أموالها . فلم يكن هو إلا وسيطاً وشخصاً ثالثاً يتوسط بين البائع والمشتري ، يشتري تلك المادة ويستوردها باسمه ، ولكنه يستوردها للمعابد ولفائدتها . وهو لا يستبعد مع ذلك احتمال اشتغاله لنفسه وعلى حسابه في التجارة ، يستوردها ويبيعها في الأسواق ويتصرف بالأرباح التي تدرها كما يريد . وهو لا يستبعد أيضاً احتمال مساعدة المعابد له بتجهيزه بالمال لتقوية رأس ماله ، أو انتشاره من خسارة قد تصيبه .

وقد أصيب هذا التاجر ، كما يظهر من هذا النص ، بخسارة كبيرة في شهر (حتح) ربما أنت على كل ما كان يملكه ، فهبت المعابد المصرية لانقاذه ، وإعادة الثقة به ، بإسناده بتقديم أكسية البز (بوص) إليه . وقد أخذها وصدرها في سفينته التي يستورد بها المرّ والقليمة إلى الأسواق ، فربح منها ، واستورد المرّ والقليمة وأعاد إلى المعابد ما أخذ منها من تلك السلعة ، وأدى

ديونه في شهر (كيهك) . وقد أعادت اليه الثقة به ، وأنقذ من تلك
الضائقة المالية التي حلت به ، بمدة قصيرة لا تتجاوز شهراً كما يرى ذلك
(رودوكناكس)^١ :

N. Rhodokanakis, «Die Sarkophaginschrift von Glzeh», Zeitschrift für Semitistik, 11, (1923), S. 113, Zeitschrift für Semitistik und Verwandte Gebiete, 11, 1924, S. 113, Tarn, in : Journal of Egypt. Archeol., 15, (1929); 20 Beeston; in : Journal Roy. Asiat. Soc., Gesch. der Hellenist. Welt, 1955, 1, 300, 3, 1172; Araber, 1, S., 70.